
القادة الأبرار
الإمام جعفر الصادق



الإمام جعفر الصادق (ع)

القَادَة الأَبْرَار

الإِمَام جَعْفَر الصَّادِق (ع)

الدار الاسلامية

الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م



كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب : ١٤٥٦٨ تلكس ٢٣٢١٢ - غدير
فرع ثاني / حارة حريك مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠

الإمام الصادق (ع)

الاسم : الإمام جعفر الصادق (ع)
اسم الأب : الإمام محمد الباقر(ع)
اسم الأم : فاطمة
تاريخ الولادة : ١٧ ربيع الأول سنة ٨٣ للهجرة
محل الولادة : المدينة
تاريخ الاستشهاد : ٢٥ شوال سنة ١٤٨ للهجرة
محل الاستشهاد : المدينة
محل الدفن : المدينة (البقيع)

باسْمِهِ تَعالَى

ما قَبلَ الإمامَةِ:

بعدَ ثَلاثٍ وعِشرينَ سَنةً منْ واقِعَةِ كَربَلاءَ، رُزِقَ أَهلُ بيتِ رسولِ اللّهِ (ص)، وَليداً ذَكراً أَسْمَوْهُ جَعفرَ، وأَبوهُ هو الإمامُ محمدٌ الباقِرُ (ع)، أَمّا أُمُّهُ فهيَ السَّيدَةُ فاطمةُ. وجدُّهُ هو الإمامُ زينُ العابِدينَ (ع)، وهوَ كما نَعرفُ، الرَّجُلُ الوحيدُ الَّذي بقيَ منْ أهلِ البيتِ على قيدِ الحياةِ بعد فاجعةِ كَربلاءَ.

عاشَ جَعفرُ مع أبيهِ وإلى جانبِ جدِّهِ زينِ العابدينَ، وحينَ بلغَ الثالثَةَ عشْرةَ من عُمُرِهِ، تُوُفِّيَ جَدُّهُ العظيمُ بعدَ حياةٍ مَليئةٍ بالتّقوى والعَملِ الصّالحِ.

نشأَ جَعفرُ نَشأةً صالحةً في بيتٍ طاهرٍ، تَلقّى فيهِ أصولَ الصِّدقِ والإيمانِ، وقد لُقِّبَ فيما بعدُ بـ «الصّادقِ»، أي الّذي يَقولُ الحقَّ والصِّدقَ دائِماً، وصارَ يُعرَفُ بـ «جَعفرَ الصّادقِ».

في تلكَ الأيّامِ كانَ عبـدُ المَلِكِ بنُ مروانَ حـاكماً في بـلادِ المُسلمينَ، وكـانَ مُمَثِّلُه يُـدعى الحجّاجَ بنَ يوسُفَ، وهوَ رجلٌ قاسِي القلبِ عَـديمُ الرَّحمـةِ، أنزلَ أشـدَّ العذابِ والأذى بـأصحابِ وأهْـلِ أميـرِ المُؤمنينَ عليٍّ عليـهِ السَّـلامُ، فكـانَ يُلْقي بِهمْ في السُّجـونِ، ويُنكِّـلُ بِهم، وكـانَ بيتُ الإمـامِ زينِ العـابِـدينَ (ع) مَوضُوعاً تحتَ مُراقبةٍ شَديدةٍ، وقد حُـظِرَ على الجميعِ أنْ يَقرَبُوا هـذا البيتَ الكَريمَ، وفي الـوقتِ الّذي كـانَ فيهِ أعداءُ آلِ البيتِ أحراراً يَقولونَ ما شاءُوا، فَقدْ حُرِمَ أهلُ بيتِ الرَّسولِ من هذهِ الحُرِّيَّةِ.

وبعـدَ موْتِ عبـدِ الملكِ بنِ مَـروانَ استلمَ الحُكمَ ابنُهُ الوَليدُ، وكانَ هـذا أشَدَّ منْ أبيـهِ ظُلماً وجُـرأةً على آلِ بيتِ رسـولِ اللّهِ (ص)، كما كـانَ يَجْهَـرُ بِعِـدائِـه للإسلامِ وأحكامِه، لكنَّ حُكمَهُ لم يَطُلْ كَثيراً، فتَسَلَّمَهُ مِنْ بَعدِه عُمرُ بنُ عبدِ العَزيزِ.

كانَ الإمامُ الصّـادقُ عليهِ السَّـلامُ، في تلكَ الفترةِ منَ الزَّمنِ قدْ تجاوزَ أيَّامَ شبَابِه، وكـانَ أبوهُ البـاقرُ عليـهِ السَّـلامُ إمـامـاً وقـائِـداً لِـلأمَّـةِ. وَفي عهـدِ عُمَـرَ بنَ عبـدِ العـزيـزِ لَقِيَ أهـلُ البيتِ (ع) مُعـاملةً أفضـلَ من

السَّـابقِ، واسْتَعادُوا شَيئاً منْ حرِّيَّتِهم، وصـارَ بِمقـدورِ الإمـامِ البـاقـرِ عليـهِ السَّـلامُ أنْ يَجلِسَ إلى النّـاسِ، يُحـدِّثُهم ويُعلِّمُهم أحكامَ الإسـلامِ والقُرآنِ الكـريمِ، إلى جانبِ عُلومٍ أخرى كثيرةٍ. لكنَّ حُكمَ عمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ كـانَ قَصيراً جِـدّاً. وخلَفَهُ في الحُكمِ هِشـامُ بنُ عبدِ الملكِ.

كـانَ هشامُ رجُـلاً شَديـداً وقاسيـاً، لا يَكْتُم بُغضَه لأهـلِ البيتِ، وقد عـانى الإمامُ البـاقرُ كَثيـراً من شِدَّةِ هِشـامٍ، لكنَّ قَسوتَـه ـ على أيٍّ حـالٍ ـ لمْ تَصِـلْ إلى دَرجةِ أسلافِه. ويُذكَرُ أنَّ هِشاماً استَدعى الإمـامَ الباقِـرَ مَـرَّةً، وطلبَ منهُ أنْ يَسـأَلَـهُ حـاجـةً يَقْضيهـا لـهُ، لكنَّ الإمامَ طلبَ منهُ أن يدَعَه لِيرجِعَ إلى أهلِه في المدينةِ، لِيُتابعَ عملَه في الـوَعظِ والإرشادِ. فـوَافَقَ هِشامٌ، وعـادَ الإمامُ إلى المدينةِ، كما عـادَ إلى دُروسِه ومَجـالِسِه في مَسجِـدِ جَدِّهِ الـرَّسولِ (ص). وقـد اجْتمعَ حـوْلَهُ خَلقٌ كَثيـرٌ منْ طُـلّابِ العلمِ، والْتحَقَ بـدروسِـهِ الشّبـابُ والشّيوخُ، ومنذُ ذلـكَ الحينِ، اصبحتْ عائلةُ الـرَّسولِ (ص) مَـوْضِعَ اهتمـامٍ كبيرٍ من النّـاسِ، وكانَ البـاقـرُ على دِرايَةٍ بعُلومٍ كَثيرةٍ، يَتلقّاها عنهُ تَلاميـذُه فينْتَشِرون



في كُلِّ اتِّجاهٍ نحوَ المُدُنِ والقُرى، يَجلِسونَ إلى النّاسِ ويُعَلِّمونَهُم ما تَعَلَّموهُ منَ الإمامِ ، حتّى انْتَشرت أَحكامُ الإسلامِ وعُلومُه ومَعارِفُه انتِشاراً كَبيراً.

شعرَ أعوانُ هشامٍ بالخَطرِ الَّذي تُشكِّلُه مَجالسُ الإمامِ في تَوْعِيةِ النّاسِ ، وكشْفِ الحَقائقِ أمامَهم، ولكنْ لم يكنْ بِمقدورِهمْ عملُ شَيءٍ، لأَنَّ حُكمَ بني أُمَيَّةَ كانَ قد بدأَ يتَّجِهُ نحوَ الضَّعْفِ، وصارَ النّاسُ في كُلِّ مكانٍ يُجابِهون عُمّالَ هِشامٍ ويَتَمَرَّدونَ على أوامِرِهم، وهَكَذا تمكَّنَ الإمامُ (ع) منَ الاسْتِمرارِ في دُروسه، كمَا اسْتمرَّ تلامِيذُه بالازْدِيادِ والانْتِشارِ.

جَامِعةُ أهلِ البيتِ:

تُوُفِّيَ الإمامُ الباقرُ (ع) سنةَ ١١٤ للهِجرةِ، بعدَ أَنْ أُوصى بالإمامَةِ لابنِهِ جَعفَرَ الصّادقِ (ع)، وقد ازدادَ خوفُ هِشامِ بنِ عبدِ الملكِ منَ الإمامِ الصّادقِ عن ذي قَبلٍ ، لأَنَّهُ انْصَرفَ إلى مُتابعَةِ أعمَالِ أبيه، بِهمَّةِ ونَشاطِ شابٍّ في الحاديةِ والثَّلاثينَ، مُمتلىءٍ نَشاطاً وحَيويَّةً، فاهْتمَّ بجامعةِ أهلِ البيتِ، الّتي أسَّسَها أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالب، ورَعاها من بعدهِ أبناؤُهُ



الأَطهارُ، وخاصَّةً أبوهُ الإمامُ الباقرُ عليهمْ جَميعاً أَزكى السَّلامِ ، وشَمِلتْ نَشاطاتُ هذهِ الجامعةِ كافَّةَ العُلومِ والمعَارِفِ، وكانَ لها دورٌ كَبيرٌ في صَوْنِ الإسلامِ منَ الانْحِرافِ والتَّشويهِ، ونَشْرِ تعاليمهِ وأَحكامهِ.

بعد موتِ هِشامِ سنةَ ١٢٥ للهجرة، ازْدادَ ضعَفُ الحُكمِ الأُمَويِّ، وقامتْ في ذَلكَ الوقتِ جمَاعتانِ تُناهِضانِ الحُكْمَ وتُطالِبانِ بِالخلافةِ، والْتحقَ بهما كُلُّ المُعارضينَ للحُكمِ .

كانتْ إحدى هاتينِ الجمَاعتينِ بقيادةِ أحدِ أبناءِ الإمامِ الحسنِ(ع)، أمّا الثّانيةُ فكانتْ بقيادةِ أحدِ أبناءِ العَبّاسِ ، عَمِّ الرَّسولِ (ص)، قامتْ تُطالبُ بالثَّأرِ لدماءِ الشُّهداءِ، وادَّعتْ الوَلاءَ لآلِ بيتِ الرَّسولِ (ص).

كانَ كلُّ هذا يَجري في وقتٍ انْصرفَ فيه الإمامُ الصّادقُ إلى العَملِ على نشرِ العُلومِ والمَعارفِ عن طريقِ إقامةِ المجالسِ ، الّتي كانَ يَحضرُها كلُّ الَّذينَ يُنازِعونَ بني أُميَّةَ الحُكمَ، حتّى أنَّ العبّاسَ السَّفّاحَ والمنصورَ وغيرَهُما من كبارِ بني العَبّاسِ ، كانُوا



يَحضُرونَ دُروسَ الإمامِ، مُتظاهِرينَ بالوَلاءِ لأهلِ البيتِ عليهِمْ السَّلامُ.

الإمامُ (ع) في مُواجَهةِ الأحزابِ:

في خِضَمِّ هذهِ الأحداثِ كانتْ كُلٌّ منَ الجمَاعتينِ تَسعى لِلتَّقَرُّبِ منَ الإمامِ الصّادقِ (ع) والدَّعوةِ إليهِ، كيْ تضمنَ بذلكَ النَّجاحَ لِدعْوتِها هيَ.

أمّا آلُ الحسنِ فلمْ تكنْ دَعوتهُم قد استَكمَلَت نُضوجَها بَعْدُ، على النَّقيضِ منْ بني العَبّاسِ، الّذينَ كانُوا أكثَر تَعطُّشاً للمُلْكِ، فقدْ نَجَحوا في جَمعِ الأنصارِ حولَهُمْ، وحَوْلَ دَعوَتِهم، لِما كانَ النّاسُ يُعانونَه من ظُلمِ بنِي أُميَّةَ، ولأنَّ النّاسَ كانُوا يَروْنَ في حَرَكَتِهم الأملَ بالخلاصِ منْ هذا الظُّلمِ. كما أنَّ بني العبّاسِ رفَعُوا شِعارَ الثَّأرِ لدماءِ آلِ بيتِ الرَّسولِ (ص) وَشعارَ تحريرِ السُّجناءِ من سُجونِ بَني أُميَّةَ، وَإعادةِ الحُقوقِ إلى أصحابِها.

وكانَ مِمَّنْ الْتحقَ بِحركَتِهم رجُلانِ منْ أصحابِ النُّفوذِ والقُوَّةِ في تِلكَ الأيّامِ، وهُما أبو مُسلِمٍ الخُراسانِيُّ وأبو سَلَمَةَ الخَلّالُ، وكانا يَدْعُوانِ النّاسَ

إلى مُناصَرَةِ بني العَبّاسِ وَمُحارَبةِ بني أُميَّةَ، وكانَ لَهُما تـأثيرٌ كبيـرٌ في مَجرى الأَحـداثِ. لكِنَّهُما سُـرعـان مـا اكتَشفـا أَنَّ بني العَبّاسِ لا يَختَلِفـونَ عن بني أُميَّـةَ في شَيءٍ، وأَنَّ ادِّعاءاتِهم بالثَّأْرِ للشُّهداءِ والوَلاءِ لآلِ البيتِ كانتْ كاذِبةً، تُخفي وَراءَها أَطماعَهم.

عندَ ذاكَ وَجَّهَ أبو مسلمٍ وأبو سَلَمـةَ كِتابـاً للإِمـامِ الصّادقِ عليهِ السَّلامُ، يَعرِضانِ عليهِ فيهِ أَنْ يكونَ قـائِداً للتَّحرُّكِ ضِدَّ الحُكمِ الأُمويِّ، كما يَعرضانِ عليهِ البيعَةَ بِالخلافةِ. لكنَّ الإمامَ ما إنْ تَسلَّم كتابَهُما حتّى أحرقَـهُ أَمامَ الحاضِرينَ في مَجلسِه، وكانَ تَصَرُّفُه هذا أبلغَ رَدٍّ على دَعـوةِ الـرَّجُلينِ، لأَنَّـه يَعلمُ حَقَّ العِلْمِ أنهمـا يَسعَيـانِ وَراءَ مَصـالِحِهمـا الشَّخصِيَّـةِ، وليسَ وَراءَ مَصـالـحِ المُسلمينَ. وكَـنتيجـةٍ لِـرفْضِ الإِمـامِ لِعَرضِهما، فقدْ التَحقا بالسَّفاحِ والمَنصـورِ العَبّاسِيَّيْنِ، على أَنْ يكُونا وَزيرَينِ لَدَيهِما.

وأَخيـراً وبعدَ معـركَـةٍ كَبيـرةٍ هُـزِمَ فيهـا مَـروانُ بنُ الحَكَمِ آخِـرُ الحُكّامِ الأُمَـويِّينَ، وتَسلَّم الحُكمَ أبـو العَبّـاسِ السَّفاحُ، واسمُـه يُغني عنْ وَصْفِه. فَعيَّنَ أبـا سَلَمـةَ وَزيراً لـهُ، وكانتْ نِهـايـةُ أبي سَلَمـةَ على يَـدَيْ



رفيقِه أبي مُسْلِمٍ فيما بَعْدُ.

كانَ السَّفاحُ يَدَّعي الميلَ إلى أَهلِ بيتِ الرَّسولِ (ص)، وَقد رفعَ شِعارَ الثَّأرِ لِشُهداءِ كَربلاءَ، ولهذا كانَ مُجْبَراً في أوَّلِ عَهدِه أنْ يَسلُكَ مَسلَكَ المُداراةِ واللِّينِ مع الإمامِ الصّادقِ (ع)، وَلكنْ إلى حينٍ..

«الخُمسُ» عاملُ اسْتِقلالٍ

في تلكَ الأَيّامِ كانَ الفُقَهاءُ والعُلماءُ يَتَقاضَوْنَ حُقوقَهُم منَ الدَّولَةِ، وكانُوا يُرافِقونَ الحُكّامَ في تَحرُّكاتِهِم إلى المَساجِدِ وغيرِها، ويَحرِصُونَ على رِضاهُمْ وتَبريرِ تَصرُّفاتِهِم، أُولئِكَ همْ وُعّاظُ السَّلاطينِ، وكانَ النّاسُ يَدفعونَ إلى الدَّولةِ أموالَ الخُمْسِ والزَّكاةِ والخَراجِ، فَتدفَعُ الدَّولةُ حُقوقَ عُمّالِها ومُوَظَّفيها، ومِنْ جُملَتِهِم الفُقَهاءُ والعُلماءُ، منْ هذهِ الأَموالِ.

أَمّا الإمامُ الصّادقُ وأَصحابُه، فكانُوا بَعيدِينَ كُلَّ البُعْدِ عنْ هذهِ الزُّمَرِ منَ المُنتَفِعينَ، لأَنَّ الإمامَ كانَ يَعتَبرُ الحاكمَ مُغتَصِباً للخِلافَةِ، وأَنَّ التَّعامُلَ معهُ هوَ تعاملٌ معَ الطُّغاةِ والظّالمينَ. وكانَ أصحابُ الإمامِ، وخاصَّةً البَعيدونَ مِنهُم عنْ رَقابَةِ الحُكّامِ، يُؤَدّونَ

الخُمسَ والـزَّكـاةَ إلى الإِمـامِ ، فَيُنفِقُهـا في وُجـوهِهـا الشَّـرعيَّةِ، وهكَـذا حَفِظَ اللّهُ سُبحـانَـه وتَعَـالى آلَ بيتِ رَسولِهِ منْ أيِّ ارتِباطٍ بأجهزةِ الحُكمِ الظّالمِ .

أدرك السَّفّاحُ العَبَّاسِيُّ أنَّهُ لا يملِكُ أيَّ سُلطةٍ على الإمامِ الصّادقِ (ع). كمَا أدركَ أنَّ حِساباتِ الإمامِ في تَحصيلِ الحُقوقِ وفي وُجوهِ إنفاقِها، تَختَلفُ كَثيراً عنْ حِساباتِ الفُقهـاءِ والعُلماءِ المـرتَبِطينَ بـأجهِزَتِـه، وكانَ يَغيـظُهُ أنَّ الإمـامَ بَعيـدٌ عن تَسلُّطِهِ وتَحَكُّمِـه، فكـانَ يَستـدعِيهِ أحيـاناً إلى مقـرِّهِ في الأنبارِ قُـربَ الكُـوفـةِ، فَيُعاتِبُه حِيناً بِلهجةٍ لا تُخفي مَشاعِرَهُ الحَقيقِيَّةَ نحوَه، أو يُحاولُ استِمالَتَه أحيانـاً أُخرى، غيـرَ أنَّه لم يكنْ يَجـرُؤُ على إيذائِه عَلَنـاً، لأنَ هَذا يَنتـاقَضُ مع ادِّعـائِه الـوَلاءِ لآلِ بيتِ الرَّسولِ (ص).

وفي سَنةِ ١٣٦ للهجرةِ هلَكَ السَّفّـاحُ، وحلَّ محلَّهُ أخوهُ المَنصورُ.

الإمامُ بِمواجهةِ المَنصورِ:

كانَ المنصورُ يتمتَّعُ بِسُمعةٍ طيِّبةٍ بينَ النّاسِ ، الّذينَ خَدعَتْهم المَظاهِرُ، وكيفَ لا يكونُ كَـذلكَ؟ ألَمْ يُقـاتِلْ

طُغاةَ بني أُمَيَّةَ سنواتٍ عَديدةً؟ أَلَمْ يُقدِّمْ مُساعداتٍ جَمَّةً للسُّجناءِ العَلويّينَ؟ ألمْ يتحدثْ كَثيراً عنْ شُهداءِ كَربلاءَ؟ نعمْ، لقد تَظاهرَ بكُلِّ هذا! وبِهذهِ الخَلفيَّةِ تربَّعَ المنصورُ على كُرسِيِّ الحُكمِ.

أَمّا الإمامُ الصّادقُ عليهِ السَّلامُ، فقد كانَ يَعرفُ المنصورَ حَقَّ المَعرِفةِ، فَلَكَمْ حَضَر هَذا مَجالِسَهُ، وبادَلَهُ الأَحاديثَ، وسأَلهُ عن مَسائلَ كثيرةٍ. أجَلْ، كانَ يعرِفُه تمامَ المعرِفَةِ، وكانَ يدعوهُ بِـ «جَبّارِ بَني العَبّاسِ».

كانَ سُلوكُ المنصورِ نحوَ الإمامِ يَتّسِمُ في البِدايَةِ بالاحْترامِ الشَّديدِ، فكانَ يَدعوهُ إليهِ ويُجلِسُه إلى جانِبِه، ويَأمُرُ أَولادَه بالجُلوسِ إليهِ، والتَّزَوُّدِ منْ عُلومِه وإرشاداتِه. وكانَ يَرمي منْ وراءِ هذا التَّصَرُّفِ إلى احْتِواءِ الإمامِ واستِمالَتِه إليه، فَيجعلُه كباقي فُقَهاءِ العامَّةِ، أداةً في يدِه، وسِتاراً يُخفي وراءَه أطماعَهُ وسُوءَ مَقاصِدِه، لكنَّ الإمامَ خَيَّبَ آمالَهُ وسَفَّهَ أحلامَهُ، فلمْ يَسْتجِبْ إلى مُحاولاتِه، ولمْ يقعْ في شِراكِ فِخاخِه، بلْ على النَّقيضِ منْ ذلكَ، كانتْ آراؤُه وتَعليماتُه في هذا الصَّدَدِ واضِحةً، يعرفُها كافَّةُ أصحابِهِ عليهِ السَّلامُ، وهيَ أنَّ المنصورَ وأَمثالَهُ منَ الحُكّامِ،

طُغاةٌ مُغتَصِبونَ للخلافَةِ وأَنَّ التَّعامُلَ مَعَهمْ حَرامٌ ومَجلَبَةٌ لِغَضَبِ اللّهِ تَعالى.

ومنْ جهةٍ أُخرى فقدْ أَوصى الصّادِقُ (ع) أصحابَهُ وتلاميذَه بالحذرِ الشَّديدِ. وأنْ يَتَجنَّبوا الفُقهاءَ الَّذينَ يَعملونَ لحسابِ السُّلطةِ، وأنْ يَمتَنِعوا عنْ مُراجَعتِهم؛ كما حذَّرهمْ منَ الجَهْرِ أمامَهم بالخِصامِ دَفعاً لِشَرِّهِم، وكانَتْ وصِيَّتُهُ الدَّائِمةُ «كونُوا لَنا دُعاةً صامِتينَ».

وَحينَ لمْ يجدْ المنصُورُ سَبيلاً إلى أَصحابِ الإمامِ (ع)، بدأَ العملَ على مُضايقَتِهم وتَشْتيتِ جُموعِهم، وحالَ دُونَ حُضورِهمْ مَجالسَ الإمامِ (ع)، وكانَ منْ ناحيةٍ أُخرى، يُكثِرُ منْ اسْتِدعاءِ الإمامِ إليهِ بينَ وقتٍ وآخَرَ، فَيُعاتِبُه على مَواقِفِه منهُ حِيناً أو يُحذِّرُه حِيناً آخرَ. وهوَ في قَرارةِ نَفسِهِ يَتَمنّى لو يقتُلُه بِيَدَيْهِ، لكنَّهُ أَمامَ عَجْزِه حِيالَ الإمامِ كانَ يَنفُثُ أَحقادَه في أَصحابِه، فيعتَقِلُ المَعروفينَ مِنهم ويَستَجْوِبُهم لِيَبُوحُوا بأسماءِ الآخَرينَ، ونَتيجةً لذلكَ فَقدْ تَمَّ اعْتِقالُ الكَثيرينَ من آلِ عليٍّ عليهِ السَّلامُ، وكانَ بعدَ تعذِيبِهم يَأمُرُ بِقتْلِهِم سِرّاً ودَفْنِ جُثَثِهم في الأَنبارِ، غيرَ أنَّ هَمَّهُ الكَبيرَ كانَ أن يتخَلَّصَ منَ الإمامِ الصّادقِ نفسِه، لكنَّ

العِنـايةَ الإلهيَّـةَ كانت تَتَـدخَّل فَتُفسِـدَ عليهِ مـا يُبَيِّتُه منْ مَكرٍ.

يُـروى أنَّ المَنصورَ عـزَمَ يَومـاً على قَتْلِ الإمـام، فأَمرَ بإحضارِه إليهِ لَيْلاً، وكـانَ يقولُ: قَتَلني اللّهُ إنْ لمْ أَقتُلْه! ولَمّـا أُدخِـلَ إلى مَجلِسـهِ سَلَّم عليـهِ فلمْ يَـرُدَّ السَّـلامَ، ورفعَ رأسَـهُ وهـوَ يَتميَّـزُ منَ الغَيظِ وقـالَ: يـا جَعفَـرُ، أنتَ الذي تُؤَلِّبُ عليَّ النّـاسَ وتُحـرِّضُهم على الثَّورة؟ لكنَّ الإمامَ، وبِهدوءٍ شَديدٍ، أنكرَ عليه ادِّعاءَه، وأثبتَ لـهُ أنَّ ما وصلَه عنـهُ من أَقاويـلَ مَصدَرُهُ خُصـومُ آلِ البيتِ، وبعـدَ أخـذٍ ورَدٍ سَكَنَ المنصـورُ وقـالَ: أظُنُّكَ صادِقاً!! ثُمَّ أمرَ بإعادتِه إلى بيتِه مُعَـزَّزاً مُكَرَّمـاً، ويُقالُ إنَّ المَنصورَ اسْتدعَاهُ على هذا الشَّكلِ نَحواً من ثَماني مَرّاتٍ، وهـوَ حاقـدٌ عليهِ يُـريدُ قتلَهُ، ثُمَّ يتـراجَعُ بعدَ رُؤيَتِهِ، ويَجِدُ نَفسَه مُضطَرّاً لإكرامِه وتَعظيمِه.

ولم يكنْ مبعثُ هـذا التَّراجُـعِ إحسـاسـاً مُفـاجِئـاً بالرَّحمةِ، فَالرَّحمةُ لا سَبيلَ لَها إلى قلبِ المَنصورِ، ألمْ يُمـزِّقْ بِسيفِه وبِيـديْـهِ جَسـدَ وزيـرِهِ أبي مُسلِمٍ قِـطعـةً قِـطعةً، وَفي هـذا المجلسِ بالـذّاتِ؟! ألمْ يَسفِـكْ دَمَ المِئاتِ منَ المُؤمنينَ الطّاهِرينَ؟! لا، بلْ إنَّـه الخوفُ،



أجلْ. كانَ المنصُور الرَّهيبُ يُحِسُّ بالخوفِ حينَ يرى الإمامَ عليهِ السَّلامُ، ولا يَملِكُ نفسَهُ أمامَ هُدوءِ الإمامِ وَوقارِه، من الإحساسِ بالاحْتِرامِ لهذا الرَّجلِ الكَبيرِ. فيُبرِّرُ تَراجُعَه بأنَّ الوُشاةَ أخطأوا بِحقِّ الإمامِ هذهِ المرَّةَ أيضاً، ويقولُ: أَظُنُّكَ صادِقاً!!

ويُروى عنِ المنصورِ قولُه: كنتُ كلَّما هَمَمْتُ بقتلِه، تَراءى لي وجهُ رَسولِ اللّهِ، فَيغمُرُني الخوفُ، وتَعجَزُ يَدي عنْ الحركةِ.

انْتشارُ مَدارسِ الإمامِ:

تابعَ الإمامُ الصّادقُ دُروسَه في كُلِّ مُحيطٍ، وكَثُرَ عددُ تلاميذِه الّذينَ كانُوا ينتَشِرونَ في كُلِّ اتّجاهٍ، ويَنشُرونَ تَعاليمَه بينَ النّاسِ، وقد تَوزَّعُوا إلى فِئاتٍ مُتَعدِّدَةٍ، تَقومُ كُلٌّ مِنها بنشاطٍ مُعَيَّنٍ؛ فَمنهُم منْ كانَ يَجلِسُ في المَساجِدِ ويُعلِّمُ النّاسَ أحكامَ الفِقهِ، ومسائلَ الأُصولِ، وأحكامَ الحَلالِ والحَرامِ، وبَعضُهمْ كانَ يُعَلِّمُ التَّفسيرَ، ويَقومُ بالرَّدِّ على ما يَطرحُه النّاسُ من أَسئلةٍ أو إشكالاتٍ، والبعضُ الآخَرُ يتصدّى للمُنحَرِفينَ وما يَنشُرونَهُ منْ مَفاهيمَ خاطِئَةٍ، وآخَرونَ

يُطلعونَ النّاسَ على حقائِقِ الكَونِ ومعرِفةِ الخالقِ سُبحانَه، وأُمورِ الخيرِ والشَّرِّ، والتَّوحيدِ والمَعادِ، والإِمامةِ والقِيادةِ، وكانَ دُعاةُ الإمامِ يتجوَّلونَ بِصفةِ تُجّارٍ تَضليلاً لجَواسيسِ الطّاغيةِ.

كما أنَّ المنصورَ بِدورِهِ لم يكنْ لِيقْعُدَ ساكِناً، فَكانَ يُواجِهُ مَدارسَ الإمامِ (ع) بِالمعارضَةِ والشِّدَّةِ، كُلَّما استطاعَ إلى ذلكَ سَبيلاً، وكانَ يُرسِلُ أشخاصاً لِحضورِ دُروسِ الإمامِ ، ثُمَّ يَنطلِقونَ فينْشُرونَ الرِّواياتِ الكاذِبَةَ والأَحاديثَ المُزوَّرةَ عَنْ لِسانِه، كَما كانَ عُملاؤُه يَروُونَ أحاديثَ المديحِ بِحقِّ الحُكّامِ مِنْ بَني العبَّاسِ ، ويَدْعُونَ إلى طاعَتِهم، إضافةً إلى ذلكَ فقدْ خَصَّصَ المنصورُ العَديدَ مِنَ الفُقهاءِ، فَرَتَّبَ لَهُمْ الأُعْطِياتِ، وكَلَّفَهم بِإنشاءِ المدارسِ الَّتي تُعارِضُ مَدارِسَ الإمامِ ، فَتبُثَّ بينَ النّاسِ مَفاهيمَ مَغلُوطَةً، وأَحاديثَ مُزوَّرةً، وقَد ساعدَ هذا العَمَلُ عَلى ظُهورِ العَديدِ منَ المذاهبِ الكَبيرةِ في الإِسلامِ . ولا يُمكنُ مَنْطِقيّاً للفُقَهاءِ والعُلماءِ الَّذينَ يَتقاضَوْنَ رواتِبهَم منَ السُّلطةِ إلّا أنْ يَعمَلوا وفْقَ مَصلَحةِ هذهِ السُّلطةِ، وكانَتْ مَصلحَتُها تَكمُنُ في التَّصَدّي لمذهبِ الإمامِ

الصّـادقِ (ع) وتَسفيهِ أحكـامِه، مـعَ أنَّهُ هـوَ مذهَبُ آلِ بيتِ الـرَّسولِ، نَقلوهُ عنِ رسـولِ اللّهِ (ص) مُباشَـرةً؛ وَلكِنْ هَيهاتَ؛ فَنورُ الشَّمسِ لا يُمكِنُ حَجبُـه بإصبـعٍ أو أصابعَ.

ومِمّـا يُـذكَـرُ في هـذا المَقـامِ، أنَّ الإمـامَ عليــهِ السَّلامُ. تَصدّى بِنفسِـه لكُلِّ هـذهِ الانْحِرافـاتِ، وعقدَ لهذا الأمرِ مَجـالسَ ومُناظَـراتٍ كَثيرةً، فَنـاظَرَ فَـريقاً منَ العُلماءِ والمُتكَلِّمينَ، كما نـاظرَ الـزَّنادِقَـةَ والمُلحِدينَ، بأُسلوبٍ هادئٍ رَصينٍ، مَدعومٍ بالحُجَجِ والبَـراهينَ، الّتي لم تَـدعْ لِمُناظِـريـهِ مَخـرَجـاً إلا التّسليمَ بِصـوابِ رأيه.

استـطاعَ تَلاميـذُ الإمامِ الصّـادقِ عليهِ السَّـلامُ أن يَجمعُـوا ما يَقـرُبُ من أربَعِمئةِ كتـابٍ، كَبيـرٍ وصَغيـرٍ، ضَمَّنوها أقوالَ الإمامِ بعدَ أنْ سَمِعوهـا منهُ، وحَفِـظُوها في تِلكَ الكُتُبِ بِكـلِّ دِقَّـةٍ. وقـامَ بعـدَ ذلـكَ عـددٌ مِنْ عُلمـاءِ الشّيعَـةِ الكبـارِ، فجمَعُـوا زُبـدةَ تلكَ الكُتُبِ الأربَعِمئـةِ، واسْتَخلصُوا منهـا أربعـةَ كُتبٍ كَبيـرةٍ، هي الكُتُبُ الأربعةُ الشَّهيرَةُ، الّتي تشمَلُ أكثَرَ الـرِّواياتِ في الفِقـهِ والأحكـامِ عن الإمـامِ جعفـرَ الصّـادقِ (ع)،



بـالإضافـةِ إلى كُتبِ غيرِهـا في علمِ طَبَقاتِ الأَرضِ، وعُلومِ النَّباتِ والكِيمياءِ والجُغـرافيةِ، وعُلومٍ أُخـرى، وقد تمَّ جَمْعُها بِواسطَةِ تَلاميذِ الإمامِ الصّادِقِ (ع)، ولا يَزالُ قِسمٌ منها باقِياً حتّى اليَوم.

اسْتشهادُ الإمامِ:

قيـلَ للمنصـورِ في أحـدِ الأَيـامِ، وكـانَ قـد أتمَّ القَضاءَ على الكثيرينَ من آلِ عليٍّ (ع): الشُّكـرُ لِلّهِ يا أميـرَ المـؤمنيـنَ، فـقـد تخلَّصْتَ أخيـراً منْ كُـلِّ خُصومِك.. قـالَ المنصورُ: لا، فـالأمرُ ليسَ كَـذلكَ؛ فأنا لنْ أُحِسَّ بِالرّاحةِ طالَما كانَ جَعفـرُ بنُ محمدٍ على قَيْدِ الحياةِ..

لم يَمضِ على هـذا الحديثِ وقتٌ طَـويـلٌ، حينَ أُعلِنَ أنَّ الإمـامَ الصّادقَ عليـهِ السَّلامُ، قـد تُـوُفِّيَ في المدينةِ مَسموماً. وكانَ في الخامسـةِ والسِّتّينَ من عُمُرِهِ الشَّريفِ.

ولمّـا وصلَ خبـرُ اسْتشهادِ الإمـامِ إلى المَنصـورِ، بدأتْ دُموعُ التَّماسيحِ تنهمرُ على وجهِه وهوَ يَقولُ: إنّا لِلّهِ وإنّا إليهِ راجِعـونَ. ثُمَّ سارعَ فكتبَ إلى واليـهِ على

المدينةِ، محمـدٌ بن سُليمانَ، كِتـاباً جـاءَ فيهِ: إنْ كـانَ جعفرُ بْنُ محمَّدٍ قد أوصى إلى رجُلٍ بعينِه، فقَدِّمْهُ واضْرِبْ عُنُقَهُ. يُريدُ بـذلـكَ أن يتخلَّصَ من وَصِيِّ الإمامِ عليهِ السَّلامُ. لكنَّ الإمامَ كانَ أقدرَ منهُ على ترتيبِ الأُمورِ، وأصوَبَ إلهاماً وتَفكيراً. فقـدْ نَصَّ عليهِ السَّلامُ على إمامةِ ولدِه موسى بنِ جَعفرَ منْ بعدِه، أمامَ عددٍ منْ أصحابِه المُخلصِين، ثُمَّ عَمَدَ إلى كتابَةِ وَصيَّةٍ، هيَ الّتي وقعتْ في يدِ عـامـلِ المنصـورِ على المـدينةِ فيمـا بَعْدُ، وجـاءَ فيها أنَّـه أوصى إلى خمسةٍ وهم: أبـو جعفرَ المنصـورُ، ومحمـدُ بْن سُليمـانَ والي المـدينةِ، وعبـدُ اللّهِ الأفطحُ، ابنُ جَعفـرَ، ومُـوسى بنُ جعفرَ، وحَميدةُ زَوجتُه.

حارَ الوالي في أمـرِهِ، فكتبَ إلى المنصورِ يُعلِمُـه بِفحوى الوصيَّةِ، وحينَ عَـرَفَ المنصـورُ جَليَّةَ الأمـرِ أسقِطَ في يدِه وقالَ: ليسَ إلى قَتْلِ هؤلاءِ من سَبيلٍ!! وهكذا فوَّتَ الإمامُ بِحسنِ تَقديـره وثاقِبِ تَفكيـرِهِ على المنصورِ فُرصةَ البَطْشِ بالإمامِ منْ بَعدِه.

كانتْ وَفاتُـه رحِمهُ اللّهُ سنـةَ ١٤٨ للهجرةِ، ودُفِنَ بالبَقيعِ إلى جانب أبيهِ وجدِّهِ، وجَدَّتِـهِ الزَّهـراءِ، وعمِّهِ

الحَسن رِضوانُ اَللّهِ وسَلامُهُ عَليهِم. وكانتْ حَياتُهُ الشَّريفَةُ حافِلةً بالأَحداثِ الجِسامِ، في فَترَةٍ حسّاسَةٍ من التّاريخِ الإسلاميِّ، وعَهْدٍ يُشكِّلُ منعَطفاً هامّاً في مَسيرةِ الحَياةِ الإسلامِيَّةِ، طَبَعَهُ عليهِ السَّلامُ بِطابَعِهِ الشَّريفِ، حتّى سُمِّيَ بِحقٍّ «عصرَ الإمامِ الصّادقِ»، كانَ عَصراً اخْتلَطَتْ فيه المفاهيمُ، وتَضاربَتْ الآراءُ والمذَاهبُ، يأخُذُ بعضُها - على كَثرَتِها - بِرقابِ بَعضٍ، واحْتاجَ الأمرُ إلى فَيْصَلِ صِدْقٍ يمَيزُ خَبيثَها مِنْ طَيِّبِها، فَكانَ الإمامُ الصّادقُ عليهِ السَّلامُ خَيرَ فَيْصلٍ لهذا الأمرِ. ولا تَزالُ تَعاليمُهُ ومَواقِفُه إلى اليومِ فيصَلَ صِدقٍ بينَ الحقِّ والباطِلِ. ولا تَزالُ كَلماتُه وحِكَمُهُ مَناراً يَهدي إلى سَواءِ السَّبيلِ.